صندوق الحكايات

الرحلة الغريبة

جائزة سوزان مبارك فى أدب الطفل عام ٢٠٠١ (المركز الأول)

تأليف ورسوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الرحلة الغريبة

أخيراً تحققَ حلمهُ.

كم كانَ يتمنَى طيلةَ حياتهِ أن يركـبَ بـدلاً مـن أن يركبهُ الناس. إنهُ يدركُ أن ذكـاءهُ قـادهُ إلى ذلـك التطورُ وخبرتهُ الواسعةُ فى فنِّ الحيلةِ والمكرِ كـانَ لابدَّ أن تُؤدِى به إلى هذه النتيجـة.. كـادَ يقفـزُ مـن الفرحة وهو يرى الصحراءَ خلفه تختفِى.. ويتبـدلَ لونُهَا بلونِ الأراضِى الخَضْرَاء التى بَدأت تبرزُ علـى جانِبى الطريقِ.



أخذَ الجملُ يستنشقُ هـواءَ الريـفِ فـى سعادةٍ شديدةٍ لم يشعرُ بمثلهَا من قبل.

فقدْ كانت السيارةُ النصفُ نقل التى تحملهُ منطلقةً بسرعةٍ غيرِ عاديةٍ.

وسطَ سياراتٍ كثيرةٍ وقد شعرَ من داخله أنـهُ هو الذى يقودهَا.. مما ذكرهُ بسباقِ الجمالِ الذى سبقَ أن اشترك فيه مرةً واحدةً فى شبابهِ.. كادَ أن يفوزَ لولا أنه تعثرَ فى صخرةٍ صغيرةٍ وهو يجرى.. فسقطَ على الأرضِ.

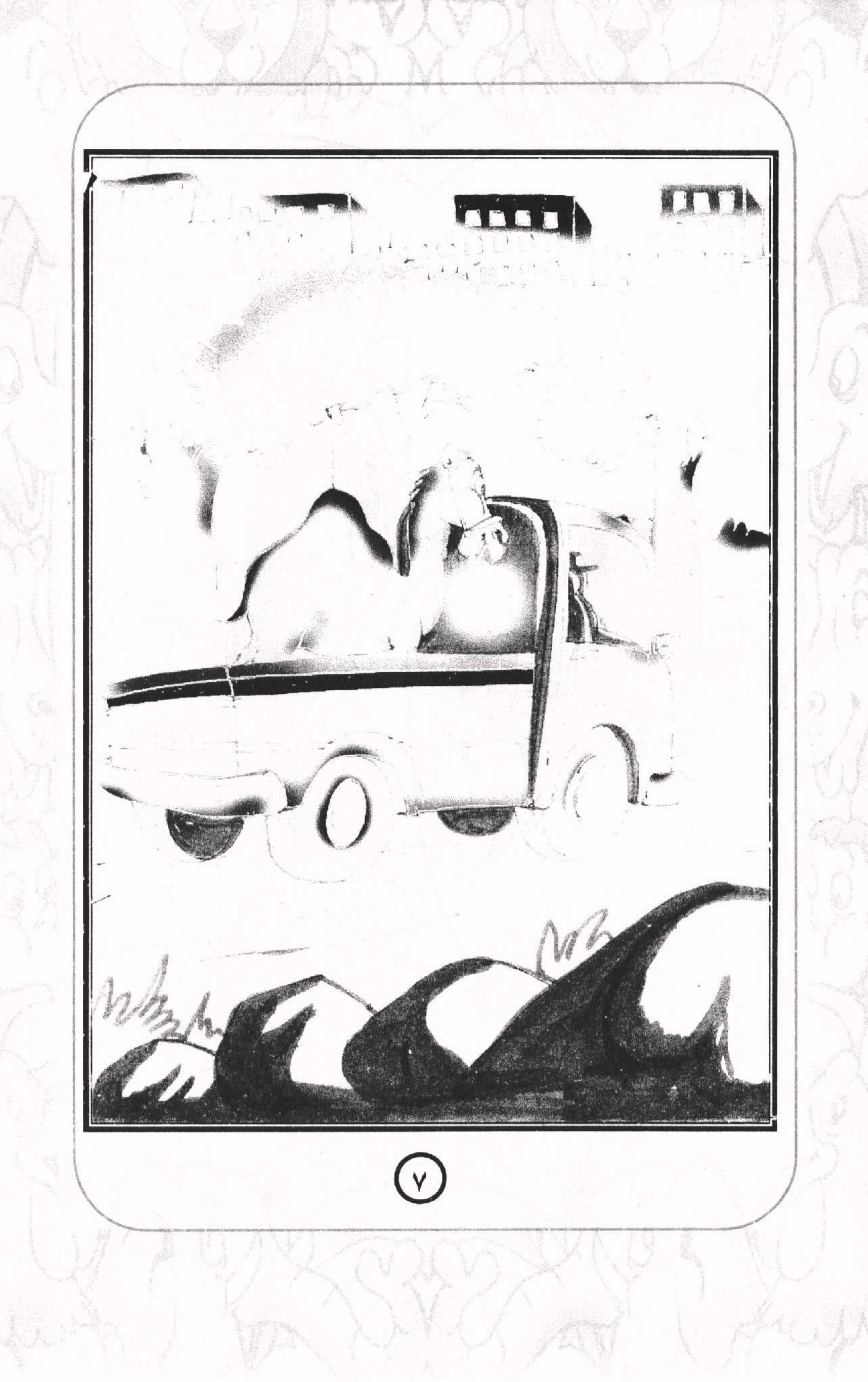


ومن يومِهَا وهو يَتَجَنبُ السباقَ.. ويقلل من سُرعتهِ عمداً كي لا يختاروه للمباريات.

فهو يُفضلُ أن يجلسَ ويتفرجَ على أصدقائهِ بدلاً من أن يجرىَ ويتعبْ بدون فائدةٍ.

لمحَ الجملُ بعينيهِ إحدى عرباتِ "الكارو" المحملةُ بالأخشابِ تسيرُ ببطءٍ أمامه على الطريقِ السريعِ.. وكانَ يقودها حمارٌ عجوزٌ مسكين.

وعندما رآه الجمل لم يتمالك نفسهُ وأخذ يضحك ويسخرُ منه بشدةٍ.



دمعـتْ عينـى الحمـار وهـو يسـمعُ كلمـات الاستهزاء.. لم يرد عليهِ فهو يعلم أنه ليس بوسعهِ أن يفعلَ شيئاً وهو يرى الجمـلَ منطلـقٌ بسيارتـهِ.. وأخذَ يسير ببطء فقد ثقلَ عليه حملهُ لكنه واثقٌ أنه سيصلُ ويؤدى واجبهُ فقد تعلمَ المثلَ القائلَ "الكـلابُ تنبحُ والقافلةُ تسيرُ".

أختفى الحمارُ عن عينى الجملِ. فتوقفَ الآخرُ عن السخريةِ وأخذَ يفكرُ لمـاذا أطلقـوا علـى الحمـارُ هذا الاسم..

بـالطبع لأنـه لا يملـكُ القـدرةً علـى الحيلـةِ والمكرِ.. كما يفعلُ الجمل. فقد حاولوا معهُ هو أيضاً. كل هذه المحاولاتِ.. كانوا يحملونه فوقَ طاقتهِ.

لكن هيهاتَ فليسَ مثلهُ من يخضعُ.. لذلك فقد كانَ يدَّعى على الفورِ أنـهُ تعثـرَ فـى أقـربِ صخرةٍ تقابلَهُ.

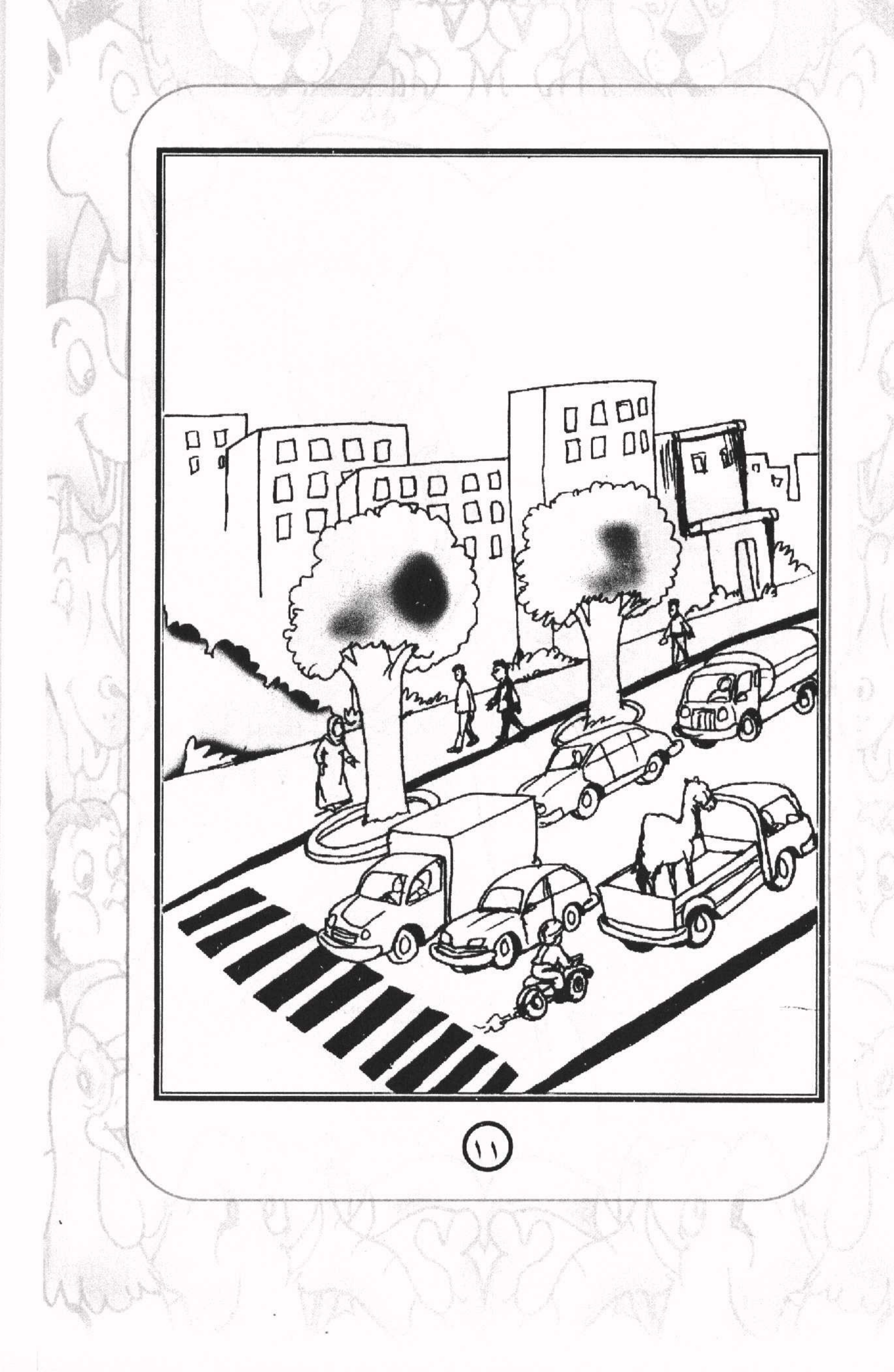
ويُسقط كلَّ ما فوقَ ظهرهِ على الأرضِ.. فيصيبَ صاحبهُ بخسائرٍ فادحةٍ.

ومن يومِهَا توقفوا عن الاعتماد عليه.. وأسمـوه الجمـل الأعـرج ضَحِـكَ الجمـلُ وأخَـذَ يُحركُ قدميه

بمهارةٍ وهو يقولُ أغبياء.. لا يعلمونَ أن قدمى أقوى بكثير من قدمِ أى جمل أخر.

أخذ الجملُ ينظُر إلى الأراضى الخضرَاء وهى تتلاشَى لتظهرَ فى الأفقِ مبانِى جميلة.. يا لها من رحلةٍ.. ها هى أخيراً المدينة التى عَاشَ يحلم بالحياة فيها.. لم يكن يتخيلُ أنه سيصلُ إليها يوماً.. أخيراً تخلَّص من هذه الصحراءِ القاحلةِ. لم يَعُد بحاجةٍ إلى أن يدخر الماءَ فهنا تجرى أنهار.

عندَ مدخلِ المدينةِ تحركت السيارةُ ببطءٍ لشدةِ الزحامِ..



فأخـذَ الجمـلُ يـتفحصُ وجـوهَ أهـلِ المدينـةِ ومِلابسهُم الفاخرة.. إنها تختلفُ كثيراً عن ملابسِ الرعاةِ الذينَ يعيشونَ على أقلِّ القليل..

لكن الشـىء الـذى أبهـره فعـلاً هـو احترامهـم لكرامةِ الحيوان فها هى السيدةُ اللطيفةُ تضعُ كلبَها بجانبَها على كرسى السيارة الفخمة وتطعمُه طعاماً خاصاً موضعاً فى علبةٍ أنيقة وقد أحاطت عنقه بطوق ذهبى جميل تدلت منه سلسلة صغيرة رقيقة.

ثم نظرَ الجملُ إلى الحبالِ الضخمةِ التى التفـت حول عنقه ورأسِهِ وقال:



فعلاً كم هُم طيبون أهلُ المدينةِ.

أخيراً سأتخلص من عيشةِ الشقاءِ وأجدُ من يدللُنِي ويلاعبني.

نظر الجملُ خلفهُ وكم كانَت دهشتُهُ عندما رأى ذلك الحصانُ الأنيقُ وقد زينوه بالسرجِ الملونِ الممتلئ بالصفائحِ الذهبيةِ والنقوشِ البارزةِ يالها من ملابسَ رائعة.

ما أجملَ العربة الصغيرةَ التى يقودها.. حتى العربةَ زينوهَا بالزهورِ..

كما أنها لا تمثلُ أى وزنٍ أو ثقل بالنسبةِ له ها

هو ينزهُ عليها بَعض السائحين.. يا لها من حيـاة..

فعلاً لقد كنت على حقٍ عندما خدعتُ صاحبى.

لأتخلـصَ مـن حيـاةِ الشـقاءِ والتعـبِ والمـرضِ

عندما كنت أتظاهر بالتعب فينزع أحمـالى مـن فـوق

ظهرى.

ويضـعها علـى ظهـر زملائـىَ الجمـالَ، فتزيـدُ

أحمـالهم.. وهـم يتـألمون ويَصـبرُونَ وأَنـا أمشـى

بجانبهم بلاَ حمل.. أَسْخَرُ من غَبَائِهم..

وها أنا اليومُ أَنطلقُ إلى عالمٍ جديدٍ مِنَ الرَاحَةِ والرفاهيةِ.. تَوقَفَتْ السيارةُ أَمَام مبنىً ضخمٍ وأَنيقٍ.

عِنْدمَا رآه الجمل أَدْرَكَ أَنَّهُ بيته الجديدُ أَنْزَلَه السائِقُ وقَاده إلى الدَاخِلِ..

كَمْ كَانَتّ سعادةُ الجملِ وهو يَرى ذَلِكَ البيت وأرضَهُ المُزَينَةُ بالرُخَامِ وكانت سعادته أكبرُ عندما قامَ رَجُلٌ طَيْبٌ وأمسك بدلوٍ كَبيرٍ به فرشاة ولونٌ أَحمر وأَخَذَ يلونُ جِسّمَهُ ويُزَيَنَهُ...

وعندما انتهى الرجلُ من عَمَلِهِ. وضَعَ الجَرْدَلُ والفرشاة وخَرجَ وأَغَلقَ خَلْفَهُ بابَ المَجْزَرِ الآلى.